من خريف الربيع

[إلى حمامة أبريل ! ...]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ذهبتُ للروض فى صباحِ
مُقيدِ اللحن ، والجناحِ
وفيه ما فيَّ من أغانِ
مطلولةِ الشدو بالجراحِ
أوتارُ أطياره سُكارَى
يعزفنَ وجدَ الحب نارا
سعيرُها خمرةُ الحيارَى !
حثّتْ إليه الرُّؤَى خُطاها
وخلفها انسابت الدموعُ !

* * *

سيَّانِ فى قبضةِ الرياحِ
شوكُ الجلاميدِ ، والأقاحى
فكم رحيقٍ بلا دِنانٍ !
وكم دنان بغير راحٍ !
وكم ربيع لنا توارَى
تودُّ لو كانت العذارَى
لسحره الغائب انتظارا
ماتتْ لياليهِ فى صباها
فهل لأحلامها رجوعُ ؟ !

* * *

وكم خريف بلا زهور
ولا أغانٍ ، ولا طيور
يلوحُ مُستيقظ الشعور
كأن فجراً عليه سارا
مُتيَّمَ النور مُستطارا
كنشوة حلّتِ العذارَا
ونغمة رقرقت شجاها
ومالها فى الربى سميعُ !

* * *

رأيتُ عُشًا على نخيل
كمهجة تجّة الغليل
رنانِ بالنوحِ والعويل
هديله فى الصباح طارا
فضج للدوح واستجارا
ناحتْ بأشواقه جهارا
حمامة مزّقتْ حشاها
وخان أحلامَها الربيع !

* * *

وأنَّ تحتَ الظلال جدولْ
يجرى ... ولكنه مُكبَّلْ
كخاطر فى دمى تنقَّل
إن قلت : أقبِلْ ! أرى نفارا
أو قلت : أبعِد ! دنا مزارا
كطائر فى الشباكْ نارا
وأنة فى الحشا طواها
سجن يسمونه الضلوع !

* * *

حزينةٌ أنت يا ظلالُ ؟
أم فيك نفسٌ بها ملالُ ؟
أحاطنا الحبُّ والجمالُ
وأنتِ مثلى كتمتِ نارا
وتنفُضينَ الأسى عطارا
لبستِ من حيرتى دثارا
ولحتِ تشكلَى تريدُ فاها
يبكى به قلبها الصديعُ !

* * *

وأنتَ يأيها الحزنُ !
يا شاعراً شفّه الحنينُ ...
ألقِ مزاميرَكَ الأنين
فى ظلمة لم تجدْ نهارًا
فدفّ إنشادُها ودارَا
كغربة ضلّت الديارَا
قطّنت فى الربى أساها
والروض من حولها خليعُ ! !